

لقيم بين الصلّة و واقع الحدث

أن أُبقي أمام عيني تلك القيم الإنسانية المكتسبة من خلال واقع تربوي عند أهلي ، بيت جدي الشيخ أبو عبد الرضا رحمه الله و الذي كان شيخ الأسرة و ملاذها في الإصلاح ، و بيت والدي الشيخ أبو ناصر رحمه الله ، و بين تلك القيم التي أتت من ممارسة اجتماعية وعملية وفي مجموعها أصبحت منعكسة على السلوك .

في مجتمع متغيّر مثل مدن الأحساء من تقليديته وأميّته وأعرافه وطقوسه الدينية و تعاملاته ويمكن اختصارها بطرق المعيشة إلى واقع معاصر حدائوي سواءً في البيئة الحضرية ، وفي مناحي الحياة تعليمياً وصحياً ، وأنماط العمل وباختصار التغريب المتمثّل في ملاحقة طبيعة العيش الغربية تحت تأثير حضاري من جهة ، ومفاهيم العولمة و ايدلوجيا الرأسمالية تحت عنوان الليبرالية . هذا التغيير والتطوير انتزع كثير من القيم الإيجابية الى حد عدم الحديث عنها . و بالتأكيد كان تأثير ما عرف بالصحوّة الإسلامية قوياً بقدر الهدف للعودة الى الجذر الإسلامي و الإلتزام الدّيني بالمدارس التعبدية المختلفة بقدر نشوء مفاهيم التّعارض كالتّائفية مما يُشكّل واقعاً سلبياً مع أنّ أثر ذلك أقل في الأحساء عنه في جغرافيات أخرى .

كانت السُننات الأخيرة لها وقعٌ كبير في نفسي بين إرادة الفعل الثقافي و الاجتماعي والوطني والديني والعملية وبين انهزام القيم التي عليّ أن أواجهها بعد هذا العمر ، أن لا أنحني أو لا أنكسر أمام حيثيات المجاملة وتيّارات التغيير بظاهرتها الصوتيّة لأتمكن من إلغاء الجوانب السلبية ، بالرغم من أنني أؤمن بثلاثية الموروث وعيش الحاضر و استشراق المستقبل مُقدّراً أنّ بنعمة ربك فحدّث

النشاط المُتعدّد الجوانب جعل التواصل مع مختلف الأطياف وارداً ، ومنحني عزيمة تطبيقية لمفاهيم السّلم و التّعایش ، جميلٌ عند الحساوي أن يكون أريحياً يتناقل الصّفات عبر تواتر الأجيال. و لذلك لم يخلو في مدارات السّنين من منغّصات أعلاها الإقصاء مروراً بسرقة المنجز و غير ذلك .

القيمُ الّتي اكتسبتها كانت مدار معرفة من قصصٍ تاريخية و منها القرآنيّة ، ومواقف جلييلة تصلح أن تكون شاهداً و ربما فدوة تُحتذى .

اتذكّرُ كيف أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وهو خليفة المسلمين يخرج لبر الكوفة وفي
إحداها كتب على الرمل و هو يقولها :

(وفي الصدر لبانات

إذا ضاق لها صدري

نكتُّ الأرض بالكف

وأبديت له سري

فمهما تنبت الأرض

فذاك النبت من بذري)

فكيف لي اصطنع أيّامي والصدْرُ لا يخلو من مفارقات و شُحنات أسى أعبّر عنه بقهر الرجال قد يكون من
ذوي رحم مع رغبة أكيدة بالكتمان و التّجسير أن هناك من الواجبات ما علي فعله ، التّجسير هو أداتي
الجميلة .

قُبيل دُخولي المستشفى كانت هذه المعايير هي الضابطة ، في السلوك بين تصحيح المفاهيم ما أمكنني
ذلك و بين التّحفظات الرّتي أُوأجهها أن لا تكون محل خُسران لي مثل الحضور . تُراودني دائماً تلك
القيم كالمروءة ، و الشهامة ، و رد الجميل، و الشّجاعة في الحق ، و السعي لإعمار الأرض ، و الانتماء
الوطني، و التسامح، و الحرية ، و الكرامة، احترام الرأى الآخر ، و الصبر ، و ايجاد البدائل ، و ما
إلى ذلك .

كنت اتوخّى الحذر أن لا أكون صادمًا أو صداميا و لكن مع وضوحى للمبتغى مع اجتهاد لأيّ تكليف أن
ينجز مادام لدي الإمكانية لذلك ، و تحقيق مستوى من الرضا الذي يُسعفني في مستوى من الفرح ربما
يتوازن مع الإرهاصات و يجعل للحياة معنى

هناك مواقف اتخذتها تحت تأثير القيم .. جاء جنسها في التعاملات تصل بعضها لحد القطيعة المنعكسة ذات
تأثير في الوجدان . و زاد في نسبة الوجدانية لديّ .

قبيل دخولي المستشفى كان الشّرود الذّهني و التفكير العميق المسترسل متمثلا في كل ذلك ، مع تعجّب
كيف تخلّى البعض عن القيم؟! و كيف لهم أن يمارسوا قسوة القطيعة تحت ضغط المغالية بنشوة انتصار
!؟ .

اسماءٌ و أحداث و مواقف تمرُّ تباعاً ربيّما أكون المُتجنّدي على نفسي التي طمأنت وجودها في ظل "

و لئن شكرتم لأزيدنكم " ، أو هو نوعٌ من جلد ذاتي ، و بتصرف عقلائي استشرت و ما خاب من استشار أو بالأحرى فمضت لأحد الأصحاب و نعم الصحة فتشاورنا و أبدى رأيه .

مع مراجعة المستشفى كنت أحملُ الكثير من الهواجس تجاه قومي و محيطي _ إن صح التعبير _ الذين كانت لي معهم مواقف بعد أن صدموني بتخليهم عن قيمة ما و سمحوا بإيذائي حتى مع تواصل لوقفة رجوليَّة لم أكن أحضى بها معهم ، إنه الآلام التي أحدثوها و الفجوة في التعامل مع ...